مشكـلات تـدريـــس مـادة المـدارس اللسانيـة

نعمـان بوقـرة*
* ق. اللغة العربية وآدابها
جامعة عنابة

Résume

Cet étude qui entre dans le cadre de la linguistique appliquée et l'enseignement des langues, essaye de mettre en évidence les problèmes rencontrés dans l'enseignement du module « les écoles linguistiques » en quatrième année de licence en langue et littérature arabe, tant sur la plan de l'enseignant, de l'étudiant, de la matière enseignée, que sur le plan de la méthodologie utilisée.

La deuxième partie de cette étude est réservée aux solutions proposées pour faire face à ces problèmes, nous avons proposé :
un programme que nous avons jugé plus adéquat au niveau des étudiants et à leurs besoins.
- Des objectifs bien déterminés.
Des supports pédagogiques appropriés.
Une méthode d'évaluation adéquate.

توطئـــــة

إنـــه لشرف عظيم لي أن يمكنني السادة الأساتذة المسؤولون على تنظيم هذيـــن اليومين الدراسيين حول المناهج الدراسية - بناؤها وتقويمها ، ويفسحوا لي المجـــال لكـــي أطـــرح بعض الإنشغالات التربوية التي تخص مادة المدارس اللسانية، بغية إيجاد إجابات موضوعية أو توجيهات من الأساتذة الأفاضل الذين لهـــم خبرة علمية وعملية واسعة في هذا المجال. وسأحاول بداءة التعريف بهذه المـــادة الدراسية، ثم أصف أهم المشكلات التي تعترض متعلميها من طلبة السنة الـــرابعة في المحتوى والطريقة والوسائل المستخدمة في العملية التعليمية ومشكلة

الـــتقويم، كمـــا سأعبر عن تصوري للأهداف التي يمكن أن يبنى عليها المنهج الدراسي الخاص بهذه المادة في غياب منهج دراسي عام متكامل ومؤسس .

1- التعريـــف بالمـــادة

المـــدارس اللســـانية مادة دراسية تقدم لطلبة السنة الرابعة لتعرفهم بأهم المـــدارس اللسانية الحديثة، من حيث نشأتها وتطورها وأعلامها ومبادؤها وأهم مصطلحاتها، والغالب على هذه المادة في طريقة عرضها أسلوب السرد التاريخي، والفـــترة التربوية المخصصة لها هي ساعتان في الأسبوع، وهي لا تدرس إلا في الســـنة الرابعة. والمقصد الأساس من تدريسها - كما يبدو لي - ليس التأريخ للمدارس والتطورات التي عاشتها ومؤثرات هذا التطور بل القصد منها تصوير لـــرحلة العقل الإنساني مع الظاهرة اللسانية منذ القديم إلى عصرنا الحالي وكيف عـــالج ظاهـــرة اللغة بالفحص والاختبار والمشاهدة ؟ ولا يقف الأمر عند حد تقريـــر ما وصل إليه العقل في مجال وصف وتفسير الظاهرة اللسانية، بل يتعدى إلى استشراف آفاق العلم اللساني وتطوره في المستقبل، وما يمكن أن يقدمه من خدمـــات جلـــيلة للإنسانية، وفي ظل هذه الرؤية من المفروض أن تسير عملية تدريس هذه المادة.

2- مشكـــلات تدريـــس مـــادة المـــدارس اللسانيـــة

من المشكلات التي تعترض طلبة السنة الرابعة في تعلمهم لمادة المدارس اللسانية واستيعابهم لما يقدمه الأستاذ ما يلي :

1- خلـــو العملية التعليمية في هذه المادة من الجانب التطبيقي ، والفصل بـــين الـــنظرية والتطبيق - كما هو معلوم - من أخطر ما يمكن أن تصاب به

العلوم؛ لأن المعرفة إذا قطعت عن الواقع، و لم تختبر نتائجها على محك التطبيق، فستبقى مجرد فلسفة [1].

2- تقـــدم هذه المعلومات المتعلقة بالمدارس بدون مراعاة تحقيق الارتباط الأفقي بينها، أي كأنها اتجاهات لسانية متعارضة لا رابط بينها البتة، وكثيرا ما يتلمس الأستاذ ذلك من خلال عبارة أحد الطلبة : ظهرت المدرسة " س " كرد فعـــل أو كثورة على مناهج النظر اللساني المعتمدة من طرف المدرسة " ع ". كذلك يلاحظ الطلبة من خلال تقديم الأستاذ أن معلومات المادة غير متماسكة من مرحلة دراسية إلى أخرى، فهناك كثير من المعلومات تدرس في السنة الثانية مـــثلا في مادة اللسانيات العامة مما هو مرتبط أساسا بالمدارس اللسانية في السنة الـــرابعة، ومـــع ذلك لا يجد الأستاذ أي ربط بينها في إجابات الطلبة، كأنهم يـــنطلقون من فراغ، وليس هذا فقط، فهناك حالة غريبة لا يمكن تحديد سببها بدقـــة إلا عن طريق إجراء دراسة مستفيضة من خلال استقراء وتتبع لها، وهي عـــدم قـــدرة الطلبة أنفسهم على أن يربطوا بين معلومات متكاملة أو تعريف المعلومات نفسها في مقاييس متقاربة جدا في نفس المستوى (لسانيات تطبيقية - تحليل الخطاب - نظرية الأدب ..).

3- ضـــعف قـــدرة الطالب الذهنية على تجريد الأفكار، فهو كثيرا ما يطلب تمثلاتها المادية، ويغالي في هذا إلى حد السذاجة.

وبعـــد عملية مساءلة بسيطة لعينة من الطلبة (نعترف أنها لم تكن سبرا للآراء بالمعنى الدقيق)، تبين لنا أن هناك :

---

[1] -عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، مجلد 4، سنة 1974، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر .

أ – عـــددا مـــنهم يوجه نقدا للمادة ذاتها، ويرى أنه من خلال محتواها يمكـــن الاســـتغناء عنها (20 % تقريبا)، والسبب في ذلك صعوبة المصطلح اللساني.

ب – عددا منهم يوجه نقدا للطريقة، ويرى أن المدارس اللسانية لا يقدم بالإلقاء (في شكل محاضـــرة)، ويقترح تقديمها في شكل مناقشـــة / نـــدوة (50 %).

ج – عددا منهم يوجه نقدا للوسيلة ، ويرى ضرورة استخدام وسائل إيضـــاح، عـــدا السبورة والمطبوعة والكتاب، كإدخال الخرائط مثلا، وإدماج النشاط في عملية التدريس ذاتها (المجلات الحائطية) 10% .

د – عـــددا منهم يوجه نقدا للتقويم، ويرى أن الاكتفاء بالاختبارات الفصلية والســـنوية مجحف، ولا يقوم الطالب تقويما دقيقا، ويوجه نقدا لطبيعة الاختـــبار في حـــد ذاته، فمنهم نسبة 80 % توافق على الاختبار الموضوعي (الطـــريقة الأمريكـــية) و20 % على الطريقة التحليلية (فكرة أو قول يطلب شـــرحه في شـــكل مقـــال)، ومنهم من يرى ضرورة الاعتماد على الأنشطة المســـاعدة، واحتسابها في التقويم وتخصيص جلسات خاصة مدتها لا تتجـــاوز 15 دقـــيقة يسائل فيها الأستاذ الطالب على مسألة دقيقة متعلقة بمدرسة لسانية معينة.

4– ضـــعف مستوى الطالب اللغوي (مهارتي القراءة والفهم) مما يمنعه مـــن مطالعـــة الكتـــب والمقالات اللسانية واكتسابه ملكة اللغة الخاصة فهما واســـتعمالا ، وليس هذا في اللغة العربية فقط ، بل وفي اللغة الفرنسية كذلك ، إذ أن أغلـــب المعجمات اللسانية والكتب مازالت بلغاتها الأصلية ، وإن ترجمت أوقعت في معضلة المصطلح.

ثمة مشكلات أخرى تخص الأستاذ أثناء تدريسه لهذه المادة، منها :

5- افـتقار الأستاذ إلى دليل يبين له الأهداف العامة والإجرائية للمنهج الدراسي ، وفي غياب وعيه بالأهداف العامة والخاصة، والغايات المرجو تحقيقها مـن تدريس مقياس المدارس اللسانية، لا يمكنه بأية حال من الأحوال أن ينتقي من المحتوى ما يناسب قدرات الطلبة وميولهم.

6- افـتقار المراجع الأساسية التي يمكن اعتمادها مباشرة لفهم المبادئ الأساسـية والمصـطلحات الخاصة بمدرسة معينة، فكل ما هو موجود لا يفي بالغـرض المطلوب، فكيف يدرس الأستاذ المدرسة التوزيعية - مثلا - وهو لا يتوافر على كتاب اللغة لبلومفيلد، وكذا الحال بالنسبة للطلبة، مما يجعله مضطرا إلى الاكتفاء باليسير من الكتب التي لا يسلّم لأغلبها بالدقة العلمية في مجال هام كاللسانيات .

7- غياب التنسيق البيداغوجي بين أساتذة المادة الواحدة، لأسباب غير موضوعية. فكل أستاذ يجتهد منفردا في تقديم المادة من خلال محتوى غير ثابت، وبالتالي تصعب عملية التقويم في الأخير، وتكون نتائجها غير منطقية.

ومن المشكلات المتعلقة بالمحتوى الدراسي :

8- صعوبة تصنيف الاتجاهات اللسانية بسبب تشعب الدرس اللساني الحديث وتطوره تطورا سريعا، وينجرّ عن ذلك صعوبة تصنيف اللسانيين أنفسهم، فما يمكـن اعتـباره بوجه ما زعيما من زعماء مدرسة ما قد يكون عضوا بارزا في مدرسـة أخرى، وتظهر هذه المشكلة حين يسأل الطلبة عن انتماء لساني ما إلى اتجاه معين.

-أهداف تدريس مادة المدارس اللسانيـــة

قـبل الحديـث عن الأهداف التي يمكن أن تحقق بتدريس مادة المدارس اللسانية لطلبة قسم اللغة العربية وآدابها، يحسن بنا أن نذكر بتعريف الهدف عند عـلماء المـناهج التربوية. إنه (أي الهدف) : وصف للتغيير المتوقع والمرجو

حدوثـــه في سلوك المتعلم لتزويده بخبرات تعليمية معينة يتفاعل معها، ويتحدد الهـــدف في ضـــوء الفلسفة العامة للمنهج التي يؤسسها انطلاقا من المتطلبات الاجتماعـــية والنفسية، والأهداف تتمايز في النظر التربوي، فمنها العام ومنها الخاص ، وهناك الغايات أيضا.

أولا – الأهـــــداف العامـــة (الأغـــراض)

يهدف المنهج الدراسي الخاص بمادة المدارس اللسانية إلى تحقيق الأهداف التاليـــــة :

1– إعداد الفرد القادر على مواجهة المشكلات التي تعترضه في المجتمع، لكي يلعب دورا فعالا في النهوض الفكري والعلمي والثقافي، واللحاق بالركب الحضاري. إن إدراج هذه المادة الدراسية يعكس رغبة ملحة تحث على ضرورة اكتشـــاف الغـــرب المتطور من خلال نظرياته العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، والاستفادة من مناهج التحليل والوسائل المبتكرة لحل المشكلات الحضارية العويصة التي يشهدها عالمنا العربي والجزائر بوجه خاص، حتى إن هذه المادة تكاد تدرس في معظم الجامعات العربية لقسم اللغة، وفي المستوى النهائي تحديدا.

2– إعداد الطالب بإكسابه التفكير العلمي والموضوعي إزاء القضايا التي تواجهـــه ، ذلـــك أن هذه المادة بما تتضمنه من محتوى مميز يصور رحلة العقل الإنســـاني مـــع اللغة عبر الزمان والمكان تغرس في المتعلم روح التفكير العلمي والموضـــوعي والمنطقي، وقبول فكرة الخطأ والصواب وبنسبية النتائج المتوصل إلـــيها في البحث عن طريق إثارتها (المادة) لجملة من التساؤلات يمكن أن يجد لهـــا الطالـــب إجابات عن طريق جمع البيانات والأدلة المتصلة بها ووضعها من خـــلال ذلك ، والتعرف على علاقتها بما يحيط بها من عوامل متعددة بعيدا عن الأحكام المسبقة والذاتية.

مـثـــــال : يمكن أن تنمي في الطالب أصول التفكير السليم والحر مـــن خلال التعامل المجرد مع مشكلة ما بعرضها ضمن جملة من المشكلات من خلال عرض حياة سوسير ومبادئه اللسانية التي دعا إليها والتي تشكل جملة من الإجابات المتكاملة عن أسئلة مطروحة اتبع فيها سوسير نظرة كلية غير جزئيـــة (عناصر مترابطة متكاملة لا متنافرة مستقلة).

3- تعويـــد الطلـــبة على عدم الاقتناع بالتفسيرات السطحية للظواهر وإعمـــال الـــتفكير العمـــيق في المســـائل وتقليب المسألة على أكثر من وجه لاستكمال تشخيصها ووصفها. أليس هذا النوع من النظر هو الذي كان سببا في اخـــتلاف المدارس اللسانية الحديثة فيما بينها ؟ وكلما تعمقت النظرة كلما ازداد أفـــق الطالـــب الفكـــري في التوسع، ألا يمكن أن نتأكد من منطقية هذا الهدف من خلال مبدأ سوسيري هام : اللغة شكل وليست مادة.

4- التعرف بصورة مجملة على مراحل التطور اللغوي للبحوث اللسانية من القديم إلى الحديث ، والربط بينها في استمرار، والتعزف على العلاقة القديمة بين اللغة والمجتمع والإنسان.

5- إنمـــاء روح التقدير للعلماء والتفكير الإنساني بكل جوانبه، وهذا ما ينقص طلبتنا بشكل عام.

6- الإلمـــام بمـــا جـــد في صعيد البحث اللساني بقصد توظيف الرؤى والتصـــورات في نقد تراثنا العلمي واللغوي وقراءته. أليس من أهداف التعليم الجـــامعي في مـــرحلة الـــتدرج في القسم اللغوي إعداد الطالب لمرحلة ما بعد الـــتدرج، بمعنى إعداد الطالب الباحث ، الذي يمكن أن يتخذ من هذه المناهج اللسانية التي يتعرف عليها في مادة المدارس كمناهج قرائية للتراث بغية الكشف عـــن أسســـه النظرية وتطبيقاته العملية من غير عظامية. ثم إن إكساب الطالب أدنى حـــد مـــن المعلومات اللسانية من خلال مادة المدارس ينظم تصوره حول

اللســـان واللغة التي يتخصص فيها ليصبح في المستقبل مدرسا لها في مستوى من المستويات [2].

ثانيـــا – الغـــايـــات

يدخل في صلب الغايات المرجو تحقيقها من تدريس هذه المادة :

1 – فهـــم أســـرار الظاهـــرة اللغوية (اللغة)، واستخداماتها وعلاقتها بالإنسان والمجتمع في صلب أنظمة التواصل الأخرى.

2– تثبيـــت قناعة ضرورة البحث والاجتهاد من أجل النجاح والتفرد لدى الطالب الجامعي وعدم التسليم بالنتائج البحتة إلا بعد عرض الرأي والرأي المعارض [3].

3– الكشـــف عن العلاقة الوثيقة بين التفكير اللساني والعلوم الأخرى، مـــن خلال المبادئ التأسيسية للمدارس المقررة في البرنامج كأن يعرف الطالب بعد دراسة لنظرية النحو التوليدي التفريعي أن علم اللغة (اللسانيات) فرعٌ من فروع علم النفس الإدراكي [4].

ثالثـــا – الأهـــداف السلـــوكيـــة

1– تدريـــب الطلبة على مراحل التفكير المنظم : الملاحظة، والوصف، والاستنتاج، والنظرية والتفسير.

2– تنمـــية روح الـــتعاون بين طلبة الصف من خلال قيامهم بأعمال جماعـــية في شكل حلقات دراسية، وتقارير حول مسألة مطروحة في الدرس أو القيام بعملية جمع للوثائق والكتب الخاصة بلساني ما بغية قراءتها والتعليق عليها، أو ربما من أجل إنشاء مكتبة خاصة بطلبة الفوج الدراسي.

---

[2]) - عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص 42.

[3]) - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، ص 15 بتصرف شديد ، وجورج مونان، تاريخ علم اللغة، ص 12.

[4]) - محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ، ص 244 .

3- إتقـــان لغـــة اللسانيات فهما واستعمالا وتعود الطلبة على التعبير الدقيق والبسيط الخالي من الحشو والترادف والمشترك في قضية لسانية أو تعريف مصطلح ما.

4- القـــدرة عـــلى التفرقة بين المصطلحات ونسبتها إلى أصحابها، وإن كانت مشكلة المصطلح من أهم المشكلات التي يعاني منها الطالب والأستاذ معًا في المادة الدراسية المذكورة، وربما تشرك هذه المشكلة المدارس مع مواد أخرى كاللسانيات التطبيقية وتحليل الخطاب.

- تنمية مهارات القراءة والفهم والتعبير بوجهيه، إذ يكون من أهداف تدريس المـــدارس لطلـــبة السنة الرابعة حثهم على مواصلة القراءة وتفهم ما يقرؤونه، والتعبير عما يفهمونه بأساليبهم الخاصة، متعودين شيئا فشيئا على لغة اللسانيات العلمـــية. يمكـــن القول إن القراءة التي هي وسيلة للتعرف على المدارس تصبح هدفـــا مركزي، لا لأنها تقدم أكبر عدد ممكن من المعلومات، ولكن لأنها مهارة يحتاجها الطالب في حياته المهنية [5].

رابعـــا - الأهـــداف الخاصـــة

تحـــدد الأهـــداف الخاصة في المدارس اللسانية في قاعة الدرس من خلال اختـــيار نـــوع الأداء الـــذي ينبغي أن يظهره الطالب كدليل على أن الخبرات الخاصـــة بدرس من الدروس قد تحقق، لذلك فهذه الأهداف الإجرائية بطابعها يحددهـــا الأستاذ في كل درس، ويجري تقويمها في نهاية الحصة عن طريق التغذية الراجعة، وإذا كان مقدرا لهذه الأهداف أن تكون ذات قيمة، فيجب أن تكون ديناميكـــية، كما يجب أن تساير تكوين الطلبة وقدراتهم الذهنية واستعداداتهم والفوارق بينهم في الفوج الواحد.

---

[5])-محمد صلاح الدين مجاور وآخرون، سيكولوجية القراءة، القاهرة، دار النهضة 1965، ص 10- 12 وحسن شحاتة، القراءة، إشراف أحمد حسن اللقاني، مركز الكتاب للنشر، ط 2 1986 .

مثلا : من أهداف درس المدرسة الوظيفية :

1- تحديد مفهوم التقطيع المزدوج.

2- إبراز الفرق بين الصوت و الفونيم، الكلمة واللفظة .

3-تحديد مفهوم الوظيفة في النظريـــة.

4-التعرف على شخصية أندريه مارتينه .

أســس بنـــاء المنهـج الـدراســي

1- الأســـاس الفلسفـــي : ويمثل - هنا - الفلسفة التربوية المستمدة من فلســفة المجتمع والمعتمدة في بناء منهج ما، وأغلب الظن أن مجتمعنا يسعى إلى تحقـيق نوع من التوافق بين الأصالة والمعاصرة بالتفتح على كل ما هو جديد، ومن مفرزات الجديد الوافد من الغرب فكريا المناهج اللسانية والأدبية، ولتجاوز عقـدة التخلف في فلسفة المجتمع لا بد من استلهام هذه المناهج بوصفها تجارب ســابقة وخبرات ذات فائدة معرفية من أجل تأسيس - ربما - منهج لساني أو أدبي خـاص بنظرة هذا المجتمع، أو ربما استخدامه كآلة لقراءة الماضي وتصحيح أفكارنـا الخاطئة حوله واعتباره نقطة انطلاق جديدة نحو عالم التقدم، وفي ظل هـذه الرؤية الاجتماعية تكاد أغلب الجامعات العربية تجمع على تدريس مادة المدارس اللسانية بشكل أو بآخر، وربما يكون هذا الاهتمام المتزايد بهذه المناهج الحديثة نوعا من التعبير عن رغبة الطبقات المثقفة والمجتمع بصفة عامة في تحقيق الجـو الذي ظهرت في ظله أغلب هذه الاتجاهات، وهي الديمقراطية التي تعطي احتراما للفرد المبدع وتقدمه على غيره لقدرته على الإنتاج السليم.

2- الأســـاس الاجتمـاعـــي

تعتـبر الجامعة أو الكلية أو القسم الدراسي مؤسسة اجتماعية، فهي لا توجـد في فـراغ بل تربطه بسائر المؤسسات الأخرى علاقات ووظائف معينة يحددها المنهج الدراسي المتبع :

المنهج الدراسي ← القسم الدراسي ← (الجامعة - الكلية) ← المجتمع

وانطلاقـا مـن الفكرة التي تقدم، ليس هناك مجتمع بل هناك عمليات اجتماعـية (علاقـات) متغيرة دوما. والمجتمعات في تغيرها المستمر متفاوتة في درجة هذا التغير، فمنها ما يقبل التغيير بسهولة، ومنها ما يحتاج إلى فترة أطول، ومـثال ذلك مجتمعات العالم الثالث بما فيها المجتمع العربي وربما الجزائر بشكل خـاص . وعليه، فإن المنهج ومن ورائه واضعوه أو مصمموه مدعوون إلى عدم تجـاهل هـذه التغيرات الاجتماعية والفكرية التي يعاينها المجتمع، وأبرز مظاهر التغير في العشرية الأخيرة الانفتاح المريع على الغرب وثقافته عادات وأدب ولغة ومحاولـة اسـتثمار تكنولوجـيا الغرب في مناهج عديدة ربما يكون من المفيد الاستعانة بها في تدريس مادة المدارس اللسانية في أقسام اللغة العربية.

3-الأســـاس الثقـــافـــي

ينبغي لمصمم منهج المدارس اللسانية أن يكون ملما بخصوصيات الثقافة المتداولة في المجتمع عامة، والمتمثلة عند طلبة القسم.

يحـرص المـنهج الدراسي على المحافظة على التراث الثقافي المعبر عن حصـيلة خـبرات الأجـيال السابقة، وأن يبقى الطلبة على اتصال وثيق بهذا التراث، وهدف المنهج ترسيخ هذه العلاقة وتوضيحها وجعلها مثمرة في الحياة الخاصة.

أ- منهـــج المـــواد الدراسيـــة المنفصلـــة

يظهـر بشـكل واضـح في مناهجنا التعليمية ؛ فالطالب لا تقدم له المعلومـات اللسـانية والأدبـية بوصفها مترابطة متكاملة، بل بوصفها عناصر مسـتقلة، وإن تحقق الترابط الرأسي بين المعلومات في مقياس محدد، فإن الترابط الأفقـي يكـاد يكون منعدما بين معلومات المدارس اللسانية مثلا ومعلومات اللسانيات التطبيقية، أو تحليل الخطاب، أو اللسانيات العامة .

مثلا : من أهداف درس المدرسة الوظيفية :

1- تحديد مفهوم التقطيع المزدوج.

2- إبراز الفرق بين الصوت و الفونيم، الكلمة واللفظة .

3-تحديد مفهوم الوظيفة في النظريـــة.

4-التعرف على شخصية أندريه مارتينه .

أســس بنـــاء المنهـــج الـــدراســـي

1- الأســـاس الفلسفـــي : ويمثل - هنا - الفلسفة التربوية المستمدة من فلســفة المجتمع والمعتمدة في بناء منهج ما، وأغلب الظن أن مجتمعنا يسعى إلى تحقـــيق نوع من التوافق بين الأصالة والمعاصرة بالتفتح على كل ما هو جديد، ومن مفرزات الجديد الوافد من الغرب فكريا المناهج اللسانية والأدبية، ولتجاوز عقـــدة التخلف في فلسفة المجتمع لا بد من استلهام هذه المناهج بوصفها تجارب ســـابقة وخبرات ذات فائدة معرفية من أجل تأسيس - ربما - منهج لساني أو أدبي خـــاص بنظرة هذا المجتمع، أو ربما استخدامه كآلة لقراءة الماضي وتصحيح أفكارنـــا الخاطئة حوله واعتباره نقطة انطلاق جديدة نحو عالم التقدم، وفي ظل هـــذه الرؤية الاجتماعية تكاد أغلب الجامعات العربية تجمع على تدريس مادة المدارس اللسانية بشكل أو بآخر، وربما يكون هذا الاهتمام المتزايد بهذه المناهج الحديثة نوعا من التعبير عن رغبة الطبقات المثقفة والمجتمع بصفة عامة في تحقيق الجـــو الذي ظهرت في ظله أغلب هذه الاتجاهات، وهي الديمقراطية التي تعطي احتراما للفرد المبدع وتقدمه على غيره لقدرته على الإنتاج السليم.

2- الأســـاس الاجتمـــاعـــي

تعتـــبر الجامعة أو الكلية أو القسم الدراسي مؤسسة اجتماعية، فهي لا توجـــد في فـــراغ بل تربطه بسائر المؤسسات الأخرى علاقات ووظائف معينة يحددها المنهج الدراسي المتبع :

المنهج الدراسي ← القسم الدراسي ← (الجامعة - الكلية) ← المجتمع

وانطلاقـا مـن الفكرة التي تقدم، ليس هناك مجتمع بل هناك عمليات اجتماعـية (علاقـات) متغيرة دوما. والمجتمعات في تغيرها المستمر متفاوتة في درجة هذا التغير، فمنها ما يقبل التغيير بسهولة، ومنها ما يحتاج إلى فترة أطول، ومـثال ذلك مجتمعات العالم الثالث بما فيها المجتمع العربي وربما الجزائر بشكل خـاص . وعليه، فإن المنهج ومن ورائه واضعوه أو مصممو مدعوون إلى عدم تجـاهل هـذه التغيرات الاجتماعية والفكرية التي يعاينها المجتمع، وأبرز مظاهر التغير في العشرية الأخيرة الانفتاح المريع على الغرب وثقافته عادات وأدب ولغة ومحاولـة اسـتثمار تكنولوجـيا الغرب في مناهج عديدة ربما يكون من المفيد الاستعانة بها في تدريس مادة المدارس اللسانية في أقسام اللغة العربية.

3-الأســـاس الثقـــافـــي

ينبغي لمصمم منهج المدارس اللسانية أن يكون ملما بخصوصيات الثقافة المتداولة في المجتمع عامة، والمتمثلة عند طلبة القسم.

يحـرص المـنهج الدراسي على المحافظة على التراث الثقافي المعبر عن حصـيلة خـبرات الأجـيال السابقة، وأن يبقى الطلبة على اتصال وثيق بهذا التراث، وهدف المنهج ترسيخ هذه العلاقة وتوضيحها وجعلها مثمرة في الحياة الخاصة.

أ- منهـــج المـــواد الدراسيـــة المنفصلـــة

يظهـر بشـكل واضـح في مناهجنا التعليمية ؛ فالطالب لا تقدم له المعلومـات اللسـانية والأدبـية بوصفها مترابطة متكاملة، بل بوصفها عناصر مسـتقلة، وإن تحقق الترابط الرأسي بين المعلومات في مقياس محدد، فإن الترابط الأفقـي يكـاد يكون منعدما بين معلومات المدارس اللسانية مثلا ومعلومات اللسانيات التطبيقية، أو تحليل الخطاب، أو اللسانيات العامة .

ب- منهـــج النشـــاط

- القـيام بـإعداد بحـوث أو بطاقات فنية حول بعض جوانب المادة المدروسة بشكل جماعي.

- القيام بإعداد درس في مادة المدارس اللسانية يقدمه الطلبة أنفسهم، ثم يتبع بمناقشة عامة.

- إمكانية القيام بزيارة إلى قسم آخر يدرس المقياس ذاته والاطلاع على طبيعة النشاط التعليمي (المادة الدراسية المقدمة).

- تجمع طلبة الصف الواحد في شكل حلقات، تعنى كل حلقة بالتفكير في مسألة معينة تطرقها المدارس اللسانية.

- اختـيار الطلبة لمجموعة من الكتب اللسانية أو المقالات ومطالعتها في أوقات يحددونها بتوجيه من الأستاذ، ثم يقدمون عروضا ملخصة لها.

- إنشاء مجلة حائطية خاصة بالمقالات الأدبية والدراسات اللسانية.

ج - منهـــج الوحـــدات

يمـتاز هذا المنهج بأنه يرفع الحواجز بين المواد الدراسية، وبين مراحل المادة الواحدة، من فترة دراسية إلى أخرى ليكرس مبدأ التكامل المعرفي في شكل ارتباط عمودي وأفقي للمعرفة في الآن نفسه، كما يحرص هذا المنهج على ربط المـادة الدراسية بالبيئة التي يعيش فيها الطلبة ويدفعهم إلى جمع كل المعلومات والبيانات اللازمة من المحيط لخدمة المادة الدراسية. فمنهج الوحدات يتضمن في مفهومه النشاط، لذا لا تصبح المادة غاية في حد ذاتها، بل وسيلة لفهم الظواهر المحـيطة بالمتعلم وتحليلها، فيكون التركيز منصبا رأسا على وظيفية المعلومات لا عـلى كمهـا. ويمكن للوحدة بالتالي أن تكون موضوعا، كأن نقول تحديدا : وظـيفة اللغـة في حياة الإنسان والمجتمع ، أو أن تكون مشكلة تتطلب إجابة تحليلية ، مثل : كيف تؤدي اللغة وظيفتها التواصلية في حياة الإنسان ؟

تأخرت المنحة الدراسية فشلّ الطلبة إضرابا ....

- استعمـــال وسائـــل الإيضـــاح

يمكن التعريف ببعض المدن التي احتضنت حلقات أو مدارس لسانية عن طـريق خرائط جغرافية أو كرة أرضية، كما يمكن توزيع صور شخصية لأعلام اللســانيات، فـإن تعذر على الطلبة أن يروا سوسير يتكلم مباشرة إلى طلبته، يمكـنهم التعرف عليه من خلال صورته على الأقل، وإن كان ممكنا استعمال الشريط التلفزيوني المسجل أو الأشرطة المسموعة.

وبالنسـبة للأسـتاذ المعني بتدريس هذه المادة، يمكنه استثمار مفهوم البراجماتية في العملية التعليمية، ومعنى ذلك ألا يقدم المعرفة لذاتها بوصفها شكلا اسـتاطيقيا statique وحقيقة ثابتة، بل يقدم المعرفة اللسانية لوظيفيتها في حياة الطالب بوصفه مشروع مدرس لغة في المستقبل، ومن ثم يسعى إلى إثراء موقفه التعلـيمي بالمشـكلات الخاصـة بـتطور المـدارس وتبلور نظرياتها، وتحديد مصـطلحاتها لتنمو شيئا فشيئا القدرة التحليلية لدى الطالب ويبتعد عن الحفظ والتجميع.

ويمكـنه الابتعاد عن الطريقة التقليدية التي تكرس حفظ المعلومات من غير فهم أو تحليل. فهناك طرائق عدة وهو حر في أن يختار منها ما يوائم قدرات الطلبة واستعداداتهم وما يوافق طبيعة المحتوى كمًّا ونوعًا.

وبالنسبة للأسلوب، يمكنه في الطريقة نفسها أن يقدم المحتوى من خلال أسـاليب مختلفة، كأن يختار أمثلته من الواقع الذي يعيشه الطالب، ومن أهداف هذا الاختيار رفع الملل عنه وتحقيق الانسجام النفسي مع المادة الدراسية. فعوض أن يختار جملة مثل : رأيت أسدا في الحمام، ليحللها إلى مكوناتها الموالية، يمكنه أن يختار جملة ج = يجلس الطالب مع زملائه في النادي كل مساء.

تصورنـا لمـا يمكـن أن يـدرس فـي المـدارس اللسـانيـة

أولا – يمكـــن أن نقـــترح تقديم جزء من المادة اللسانية الخاصة بتاريخ اللسانيات في القديم والتطورات التي عرفتها في القرون الوسطى، ثم التركيز على جهود العلماء في القرون الموالية (17 ، 18 ، 19) عصر الدراسات التاريخية والمقارنـــة، ولا يكـــون هـــذا في السنة الرابعة، بل في مرحلة أسبق، وليكن في مقـــياس اللسانيات العامة كمدخل، شريطة أن يوفى العرض حق الجهد العقلي المـــبذول، ولا يكتفى بالتفكير اللساني في البلاد الغربية، بل أيضا عند العرب، فكـــثير من طلبة القسم يعدمون المعرفة بتطور العلم اللغوي والربط بين مراحل هذا التطور والعوامل التي ساعدت على بناء نظريات لسانية هامة، انطلقت من آراء الخليل وسيبويه والرضي والجرجاني وابن خلدون وابن حزم، ووجدت في الأبحاث القرآنية وعلوم الأصول والتفسير والبلاغة.

ثانيـــــا – يمكن تحديد مجموعة من المدارس اللسانية العامة التي عنيت بدراسة ظاهرة اللسان البشري لذاته، على أساس شهرتها وتمايزها فيما بينها مثل مدرســـة جنـــيف ، والمدرسة الوظيفية، والغلوسيماتيكية، والسياقية (فيرث)، والتوزيعـــية، والتوليدية التفريعية، ويمكن أن يكون تقسيم البرنامج إلى قسمين، هما :

– المدرســـــة البنويـــــة .

– المدرســـــة الذهنيـــــة .

ويمكن إضافة مدخل تعريفي بالنظرية الخليلية وآفاقها كمشروع يمكن توسيعه بالنسبة لطلبة الدراسات العليا، ويخص هذا المحتوى الدراسي طلبة السنة الرابعة.

ثالـــثـــا – تحديـــد مجموعـــة من المدارس اللسانية الخاصة التي عنيت بدراســـة ظاهـــرة اللسان البشري من زاوية معينة، مثل : اللسانيات التطبيقية، اللسانيات الأنثروبولوجية، اللسانيات الرياضية اللسانيات الكمية، الترجمة الآلية،

اللســـانيات التداولـــية ، اللسانيات الاجتماعية، مدارس الدراسات السلافية، المدرســـة الخليلية، الجهود اللسانية الحديثة. وهذه المحاور يقترح تقديمها للطلبة المتخصصين في قسم الدراسات العليا.

- التقويـــــم

هو استراتيجية فعالة للتغير التربوي سواء على مستوى الطالب أو على مستوى الأستاذ، أو على مستوى إدارة الكلية. ويبنى التقويم في الجامعة الجزائرية عموما على الاختبارات الفصلية والسنوية، والطالب المتحصل على أعلى درجة هـــو المتفوق، دون مراعاة ما إذا كان تفوقه هذا يعبر عن الهدف المرجو تحقيقه مـــن التكوين الجامعي أم لا. لذا، يفترض في التقويم أن يكون متعدد الأشكال، وأن يكـــون في مـــنحاه اســـتماريا حتى يحقق الانسجام بين المحتوى والطريقة وقدرات الطالب والوسائل التعليمية.

يفضل الاعتماد في تقويم هذه المادة على الاختبارات الموضوعية التي تتم بالدقة والشمولية للمحتوى كله وألا تترك مجالا للصدفة أمام الطالب مثلما هو علـــيه الحال إذا كان سؤال الاختبار مقالة شعورنا، رغم هذا التفضيل بالعيوب الـــتي تعتورها كتضمن الإجابات، فبعض الطلبة الماهرين في وضع الاحتمالات ينجحون في الإجابة عن هذه الأسئلة بشكل تقريبي.

- خـــاتمـــــة

مـــا يمكـــن الخلـــوص إليه أنه لا بد من تصميم منهج دراسي خاص بالمدارس اللسانية، بالنسبة إلى طلبة اللغة العربية مؤسس على مبدأ التنوع في :

1- عناصر المحتوى المقرر.

2- الوسائل التعليمية (الكتاب، الندوة، المناقشة، المحاضرة، الفيلم، المجلة ..)

3- التنوع في الطريقة التعليمية، وأن يأخذ بعين الاعتبار مجموعة من المقومات يقوم عليها أي منهج، وهي :

أ- الأساس الفلسفي (الفلسفة العامة للمجتمع ، ماذا يريد المجتمع ؟)

ب- الأساس الاجتماعي.

ج- الأساس الثقافي .

كمـــا يجـــب أن تكـــون ملائمة لمستوى الطلبة وتأخذ بعين الاعتبار الفوارق الذهنية بينهم وميولاتهم.

وبالنســـبة للمادة، يجب أن نحدد بدقة ماذا يجب أن ندرس في المدارس اللسانية لطلبة السنة الرابعة. فليست كل فكرة قابلة للتعليم، فهناك من المبادئ مـــا يزال غامضا عند أصحابه فما بالك بنا، ونحن نحاول أن نخطو بخطى متعثرة على طريق البحث.

كما يجب أن يحدد المنهج الفترة الدراسية الخاصة بهذه المادة؛ فصاحب هـــذه الأســـطر لا يعتقد أن المواد كلها يجب أن تتساوى في الفترة الدراسية، والأنســـب أن تحـــدد الفترة بطبيعة المحتوى، وكم المعلومات المتميزة من مادة دراســـية إلى أخرى، وذلك حفاظا على القدرات الذهنية للطالب، فقد ألمعت دراســـات حديثة إلى إمكانية إصابته بالتخمة الذاكرية إن تلقى كما هائلا من المصطلحات الغامضة باستمرار.